ارسطو ومدفنهُ

ليس من غرضنا الاسهاب في ترجمة هذا الفيلسوف ولا الاطالة في شرح فلسفتهِ بل الالماع الى ما كان لهُ من المقام بين قومهِ تمهيدًا لما سنذكرهُ عن مدفنهِ. فان مدافن العظماء في غير القطر المصري لا يطول عليها الزمان حتَّى يتولاَّها الخراب وتعفو آثارها فاذا كُشِف احدها وثبت انهُ مدفن رجل من العظماء الاقدمين عُدَّ اكتشافهُ من الغرائب التي تستحقُّ ان تدوَّن في بطون الاوراق

وقد ولد ارسطو قبل الميلاد بثلثمئة واربع وثمانين سنة وابوهُ طبيب مشهور اسمهُ نيكوماخُس صديق امنتاس الثالث جد الاسكندر المكدوني. ومسقط رأسهِ مدينة ستاجيرا في الجانب الغربي من خليج كوتسًا في بلاد الدولة العليَّة باوربا. ويتم من والديهِ وهو صغير ولما بلغ الثامنة عشرة من العمر رحل الى مدينة اثينا في طلب العلم والفلسفة فلم يجد الفيلسوف افلاطون فيها لانهُ كان قد ذهب الى صقليَّة ليكون مشيرًا لملوكها. فلبث في اثينا ثلاث سنوات يطالع ما يجدهُ فيها من الكتب الى ان عاد افلاطون اليها فدخل في حلقتهِ وجعل يقرأ الفلسفة عليهِ وللحال ظهرت نجابتهُ وتوقُّد ذهنهِ حتَّى لقبهُ افلاطون بعقل المدرسة. واقام في اثينا عشرين سنة وانشأ فيها مدرسة لتعليم البيان. وتوفي افلاطون سنة ٣٤٨ قبل الميلاد بعد ان اخذ عنهُ ارسطو جميع علومهِ وخالفهُ في مسائل كثيرة استدركها عليهِ وكان يقول اننا نحب افلاطون ونحب الحق فاذا افترقا فالحق اولى بالمحبة. وترك افلاطون مدرستهُ لخليفتهِ سبنسبوس ولم يخلف ارسطو عليها فلذلك ولوقوع النفرة بين المكدونيين والاثينيين حينئذٍ رحل ارسطو عن اثينا الى مدينة اترنيوس باسيا الصغرى ونزل على تلميذهِ هرمياس وكان واليًا عليها واقام عندهُ ثلاث سنوات ثم وقع هرمياس في قبضة الفرس فقتلوهُ ففرَّ ارسطو الى مدينة متيلين وبعد سنتين من ذلك العهد دعاهُ فيلبس المكدوني لتعليم ابنهِ الاسكندر وكان عمر الاسكندر اذ ذاك اربع عشرة سنة فعلمهُ ثلاث سنوات وهذَّبهُ وتمكنت بينهما عُرَى المحبَّة ثم انفصمت واستحالة محبتهما الى عداوة. قيل انهُ لما غزا الاسكندر مملكة الفرس اهدى الى ارسطو نحو خمس مئة الف دينار وارسل اليهِ كثيرًا من انواع النبات والحيوان التي لا توجد في بلاد اليونان. وذكر بعضهم نصائح بعث بها ارسطو الى الاسكندر وهي قولهُ اجمع في سياستك بين بدار لا حدَّة فيهِ وريث لا غفلة معهُ وكن عبدًا للحق

فعبدُ الحق حرٌّ وكن نصيح نفسك فليس لك ارأف بك منك

ورجع ارسطو الى اثينا وهو ابن خمسين سنة وانشأ فيها مدرسة للحكمة سميت ليسيوم لقربها من هيكل ابُولِيسيوس وكان يلقي دروس الحكمة على تلامذته الاخصاء في الصباح ويلقي درسًا عموميًّا على الجمهور في المساء وسميت مدرسته مدرسة المشّائين لانهُ كان يلقي الدروس ماشيًا . والمظنون انهُ ألف اكثر كتبهِ هناك . ولما مات الاسكندر اعتزّ الحزب المقاوم لهُ فخاف ارسطو شرّهم وتذكّر ما اصاب سقراط فنزح الى خليكس سنة ٣٢٢ قبل الميلاد وتوفي فيها تلك السنة ولهُ من العمر اثنتان وستون سنة . وكانت وفاتهُ بالتوليخ وقيل انهُ انتحر افتخارًا

والف ارسطو في الفلك والميكانيكيّات والطبيعيات والنبات والحيوان والمنطق والبلاغة والفلسفة ونظام الممالك وكتابهُ الاخير كان مفقودًا فوجد في العام الماضي

وقد شاع منذ شهرين ان الدكتور ولدستين اكتشف قبر ارسطو في جزيرة اغريبوس من جزائر اليونان . وكتب الدكتور ولدستين نفسهُ في هذا المدنى يقول ما خلاصتهُ طلب اليَّ رؤساء مدرسة الدروس القديمة الاميركيّة التي في اثينا ان انقب عن الآثار في مدينة ارتريا القديمة فذهبت اليها في اواخر شهر يناير الماضي ومعي واحد من التلامذة فانطلت يد عمال النقب ورجعت الى اثينا ثم عدتُ منها في العشرين من فبراير الماضي ومعي الاستاذ رتشردصن وثلاثة من التلامذة فكشفنا مشهد المدينة واسوارها وجعلت ابحث في مدافنها لاقف على كيفيّة دفن الموتى عند الاقدمين

ومن المعلوم ان اليونانيين الاقدمين كانوا يدفنون موتاهم بجانب الطرق خارج المدينة . وهذا كان شأنهم في ارتريا ايضًا فان مدافنهم تمتدّ اميالاً كثيرة عن المدينة على جوانب الطرق المتصلة بها . وعدا ذلك كانت العيال الكبيرة تقيم لنفسها مدافن خاصّة بجانب الطريق تحيطها بسور ينصلها عن غيرها وقد عثرت على قبر من هذه القبور يظهر انهُ من ايام الرومانيين ووجدتُ تحتهُ قبرًا آخر مكدونيًّا وتحتهُ رمل بحري وتحت الرمل قبر ثالث يوناني بديع الصنعة من القرن الخامس قبل المسيح

وكشفت على نصف ساعة من ارتريا جدارًا من الرخام البديع تحت الارض فظننتهُ في اول الامر جانبًا من هيكل ارطاميس ولكني رأيت انهُ لا يمتد على جانب الطريق الاّ ثلاثة عشر مترًا ثم ينعطف من طرفيهِ الى الداخل ولا تمتدّ عطفتاهُ من كل ناحية الاّ نحو متر ونصف ولذلك فهو سور قبر عائلة لا هيكل وهو ابدع صنعًا من كل القبور التي كُشفت في ارتريا حتّى الآن . وفيهِ حجارة كبيرة من الرخام الابيض والظاهر انها كانت قاعدة لبناء

بديع لم يبقَ منه الآن عين ولا اثر وقمتها حجارة كلسيّة قائمة على اساس بوناني وطول كل حجر من حجارة الرخام والحجارة الكلسيّة متر ونصف . والبناء من نوع البناء الذي كان شائعًا في القرن الرابع قبل الميلاد . ووجدنا داخل هذا السور ناووسًا كبيرًا فيه جثة مغطاة بورق الذهب وفي اصبع الجثة خاتم من الذهب عليه صورة اسد رابض وعلى رأسه نجم وعند قدميه صاعقة . ثم وجدنا خمسة نواويس اخرى . وناووسًا سادسًا في الجهة الشرقية الجنوبية وجدت فيه سبعة اكاليل من الذهب الابريز وقلمًا معدنيًا مبريًا ومشقوقًا كالاقلام العادية وقلمين آخرين ما يكتب به على الصفائح المغشاة بالشمع وتماثيل صغيرة كثيرة منها تمثال واحد في شكل فيلسوف واقف متكتف اليدين فخطر لي حينئذٍ ان هذا القبر قد يكون قبر الفيلسوف ارسطو لان كرستودورس يقول انه شاهد تمثال ارسطو في القسطنطينية واقفًا متكتف اليدين ولكنه لم يكن الا خاطر سانح . وفي اليوم التالي نبشنا قبرًا آخر بجانب هذا القبر فوجدنا عليه قطعة من الرخام عليها هاتان الكلمتان يوث ارسطوطلور . وقد اجمع العارفون بالكتابات القديمة ان هذه الكتابة قديمة من القرن الثالث قبل المسيح او اقدم منه . فالقبر قبر واحد من عائلة ارسطو . والمحققون على ان ارسطو ترك اثينا سنة ٣٢٢ قبل الميلاد واتى الى خلكس وهي بجانب ارتريا وكان له فيها عقار وتوفي فيها تلك السنة .

وخلاصة ما تقدّم ان هذا المدفن الكبير من مدافن عائلة عظيمة وفيه قبر رجل عظيم كما يظهر من التيجان الذهبية السبعية التي وجدت فيه وان هذا الرجل كان عالمًا والارجح انه كان فيلسوفًا من وجود الاقلام في قبره ومن وجود تمثال ارسطو فيه . وان اسم ارسطو موجود بين اسماء المدفونين في هذا المدفن . واخيرًا ان ارسطوميات في هذا المكان وكان له فيه عقار والارجح انه دُفن فيه .

و يعترض على ذلك أن خلكس ليست ارتريا بل جارتها ولكني وجدت ادلة قاطعة على ان هاتين المدينتين اتحدتا بعد القرن الخامس قبل الميلاد .

وجملة القول ان كل ما كشف في ذلك المدفن حتى الآن يرجح أن القبر المشار اليه هو قبر ارسطو اكبر الفلاسفة . انتهى

والمطّلع على هذه السطور يرى منها حرص العلماء الاوربيين والاميركيين على اكتشاف آثار الاقدمين لا رغبةً في مال يكسبونه بل توسيعًا لنطاق المعارف ونفريرًا لامكانها وهذا دأبهم في كل اعمالهم واشغالهم فلا عجب اذا فضلونا علمًا ومعرفةً وقوةً وجاهًا